



## تدوين القرآن الكريم و تراجمه

د . محمد حميد الله

### الكتب المنزلة قبل القرآن

روى ابن العربي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق مائة ألف آدم ، ونحن من أولادهم (١) . وروى أحمد بن حنبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله أرسل منذ آدم عليه السلام مائة وأربعا وعشرين ألف من الأنبياء من بينهم ثلاث مائة وخمسة عشر صاحب رسالة . (٢)

من هذه الكتب المنزلة ، ما عزي الى آدم عليه السلام ، والى ابنيه شيث عليه السلام ، ولم يبق لنا منهما عين ولا أثر . ومنها ما عزي الى ادريس ( أنوخ ) عليه السلام - فى الجيل السابع من آدم كما أكد التوراة - وكان اقتبس منه رسالة يهودا فى العهد الجديد بشارة آخر الأنبياء ، ووجدوا حديثا مخطوطة حبشية لكتاب أنوخ فيما وجدوا فى منارة البحر الميت ، فى الأردن . وفيها هذه البشارة وأيضا أشياء مالا يمكن أن تكون منها من الحوادث التى وقعت بعد زمن أنوخ عليه السلام . وفى العراق توجد الى يومنا هذا طائفة من الصابئين يدعون أنهم لا يزالون يتبعون دين نوح عليه السلام ، وأنه كان عندهم فى قديم الزمان كتاب نوح عليه السلام وضاع ولم يبق الا عدة أسطر من

## الأوامر الأخلاقية .

وذكر القرآن الكريم بالصراحة صحف ابراهيم عليه السلام ، (٣) واقتبس منها آيات ، وهذه الصحف معروفة عند اليهود والنصارى وأيضا ولكن بدون معلومات عن محتواها . أما صحف موسى عليه السلام فقد ذكرها القرآن مرارا عديدة ، وهى متداولة بين أيدينا ونجدها كخمس رسائل فى أول العهد القديم . ومن تاريخها أن السفر الخامس ( كتاب التثنية ) لم يعرف فى أول الأوامر . ولما مضى ستمائة سنة على موسى عليه وسلام ، جاؤا الى أحد ملوكهم بمخطوطة مجهولة وقالوا وجدناها فى مغارة . فسلمها الملك الى نبيه لهم . وعند اليهود يجوز لأمرأة أن تكون نبيه - فقالت : هى لموسى عليه السلام . وبالعموم فيما يتعلق بكتب موسى عليه السلام التى نسميها « التوراة » فكانت عندهم الى زمن بخت نصر ملك بابل الذى حارب فلسطين واحتل بيت المقدس وجمع جميع مخطوطات التوراة وحرقتها عن آخرها . فلما مضى عليه مائة سنة ، كان عندهم نبي اسمه عزرا ( عزير ؟ ) عليه السلام ، فأكد أنه يحفظ التوراة ، فأبلاها لهم . ثم بعد ذلك قاد أنطيوخوس جيوش الروم واحتل بيت المقدس وأتلف جميع مخطوطات التوراة ، وبعد زمن جاءت الروم تحت قيادة طيطوس وأتلفوا نسخ التوراة عن جديد . والذى بين أيدينا هو الاعادة الثالثة ، ولكن كيف وعلى أى أساس ؟ لانعرفه - ومع هذا نجد فيها بشارة النبي المنتظر . ومجرى زبور داؤد عليه السلام ماجرى للتوراة .

المجوس أيضا يدعون كتابا ملهما من الله ( على زردشت ) واسمه أويستا . وبعد زمن تغيرت لغة البلاد لهجوم الأجانب واحتلالهم ،

ولذلت ترجموا خلاصة الاصل الى اللغات الجديدة . ولكن الذى يوجد الآن ليس منه الا العشر أو أقل منه . وفيه أيضا بشارة آخر الأنبياء « رحمة للعالمين » . وعند البراهمانيين من الهند كتب دينية يدعون أنها منزلة من الله ( وفيها أيضا بشارات لآخر الانبياء ) ، مثل ويدا ، ويرانا ، وگيتا ، واپانيشدا ، وقال البيرونى انها تداولت على الألسن فحسب ولم تكتب الا قبيل سفره الى الهند .

ان عيسى عليه السلام جاء بالانجيل وبلغه شفاهيا ، ولم يكتبه ولم يمله ، كأنه خاف أن يصيبه ما أصاب التوراة ، فأراد أن يبقى فى قلوب المؤمنين به ، وبعد زمن طويل بدأ حواريون ومن تبعهم أن يدونوا ما حفظوا من سيرة عيسى عليه السلام ، وسمى كل واحد من هؤلاء المؤلفين ذكرياته باسم الانجيل . ويوجد أكثر من سبعين كتابا ، اسم كل واحد منها الانجيل . والكنيسة انتخبت أربعة منها ولكن لانعرف متى ؟ وكيف ؟ وقالت ان الباقي منها غير موثوق بها . وفى الاناجيل المتداولة أيضا بشارات عيسى عليه السلام عن النبى الأخير .  
هذه خلاصة ماحدث لكتب أنبياء السلف عليهم الصلاة والسلام .

### القرآن و تدوينه

تولد نبى الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمكة فى سنة ٥٦٩ للميلاد ( وأخطأ من زعم سنة ٥٧٠ أو ٥٧١ ) . كان التقويم بمكة على سنة شمسية ولم يلفه النبى عليه السلام الا فى حجة الوداع ، ثلاثة أشهر قبل وفاته ، وبما أنه توفى سنة ٦٣٢ للميلاد وكان سنة ٦٣ سنة ، فلا بد من أن كانت ولادته فى ٥٦٩ للميلاد ، على كل حال لما بلغ أربعين سنة ، أو حى الله اليه فى شهر رمضان ( أى

ديسمبر ٦٠٩) ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ومن لطيف حكمة الله أن الوحي الأول ( سورة ٩٦ ، آيات ١ - ٥ ) الى النبي الأمي كان أمراً بتعلم القراءة وثناء على القلم والمعرفة لما لم يعلم قبل . ثم قضى الله في حكمته البالغة فترة ثلاث سنوات في الوحي كي يستعد النبي الأمي لأداء واجبات النبوة - ثم انه تكرر نزول الوحي ودام لعشرين سنة أخرى الى وفاته في ربيع الأول سنة ١١ للهجرة - ٦٣٢ م .

وأعنتى النبي عليه السلام بجمع ما كان ينزل عليه من وقت الى آخر على الطريق الآتي :

ذكر ابن اسحاق (٤) : كان اذا نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأه على الرجال ثم على النساء . ثم يدعو كاتباً فيملى عليه . روى البخاري (٥) : لما نزلت « لا يستوى القاعدون الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم : أدع لى زيدا ، وليجئى باللوح والدوات والكتف ثم قال : أكتب . . . » وروى الهيثمي (٦) « عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان اذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ، ثم سرى عنه . فكنت أدخل بقطعة المسب أو كسرة فأكتب وهو يملى على . فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشى على رجلى أبداً . فاذا فرغت قال : اقرأه . فأقرأه . فسان كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به الى الناس ، رواه الطبراني باسنادين رجال أحدهما ثقات . . . فكان من شدة احتياظه صلى الله عليه وسلم أنه كان يملى ثم يطلب أن يقرأ الكاتب ما كتب ليصحح لو أخطأ . ولا بأس بأن نلفت نظر القارى الى ما قال الهيثمي أن هذا الحديث بعينه مروى باسنادين رجال أحدهما ثقات ، أى حتى غير الثقات لا يكذبون

دائما . ( وهذا فى المعجم الاوسط للطبرانى ) .

ان ما نقلناه عن زيد بن ثابت يتعلق بما بعد الهجرة . ولا بد من أن يكون كذلك فى مكة قبل الهجرة أيضا لأن كتابة القرآن مذكورة فى السورة المكية من القرآن مثلا : « وقالوا أساطير الأولين أكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ( الفرقان ٣٥ - ٥ ) « انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » ( الواقعة ٥٢ - ٧٧ - ٧٩ )  
«رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة » ( البينة ٩٨ - ٣٢ ) .

وفى الحديث أيضا ذكر كتابة القرآن قبل الهجرة . مثلا :

(١) أسلم سيدنا عمر رضى الله عنه فى السنة ٥ للبعثة بعدما قرأ سورة طه (٧) ومعلوم أن سورة طه هى سورة ٢٠ تدوينا ، ٤٥ نزولا . ونقل السهيلي (٨) عن يونس أن الصحيفة ( التى قرأها عمر ) كان فيها مع سورة طه : « اذا الشمس كورت » ( وهى ٨١ تدوينا ، ٧ نزولا ) .

(٢) ذكر السمهودى (٩) : عن ابن زبالة أن رافع بن مالك الزرقى ( الانصارى ) لما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه فى العشر سنين التى خلت . قال : . وقدم به رافع المدينة فجمع قومه فقرأه فى مسجده . . . وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : « مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بنى زريق .

نزل القرآن نجما فى ٢٣ سنة . ولم يدونه النبى عليه السلام آليا حسب ترتيب النزول بل حسبما ألهمه الله فى الترتيب الذى بين أيدينا . ولم تنزل السور كاملة دفعة واحدة بل فى أثناء زمن طويل أو قصير . فتوجد فى سور مكية آيات نزلت بعد الهجرة ، وسور مدينة أدخلت فيها بعض ما نزل قبل الهجرة . فمن البديهي أن النبى عليه السلام

كلما نزل عليه وحى صرح لكاتبه أين محل الوحي الجديد في مجموعه القرآن الموجود في ذلك الحين ، كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد . فكان إذا نزل عليه الشئ دعا من كان يكتب ، يقول : ضعوا هذا الآيات في السورة التي يذكر فيه كذا وكذا (١٠) ، قال ذوات العدد أى نزول أجزاء سور متعددة في نفس الزمن . فكان الكتاب يكتبونها موقتا على قطعات لخاف أو عظام أو أوراق . وعند تمام نزول سورة كاملة كان الكتاب يبصونها في حضور النبي عليه السلام . وهذا ما نراه في رواية الحاكم في المستدرک والسيوطي في الاتقان : عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع » ولما خرج به الكاتب الى المسلمين كانوا يأخذون النقول لأنفسهم .

وأمر النبي عليه السلام أيضا تلقى القرآن من أستاذ مستند أى رأسا من النبي فى أول الأمر ، ثم من الذين أذن لهم النبي عليه السلام تعليم الناس القرآن ، والحقيقة أن القراءة من نسخة مكتوبة لا تكفى لأنه يجوز أن تكون فيها إخطاء من سهو الكاتب ، أو اشتباه فى الخط العربى القديم الذى لم يعرف النقاط ولا علامات التشكيل للحروف . والقراءة من أجيال الاساتذة المستندين دامت الى يومنا هذا بين المسلمين . وهاكم كالمثال نسخة شهادتى من شيخ القراء الشيخ حسن الشاعر من المدينة المنورة ، وهى أفخر الشهادات العلمية عندى التى سعدت بحصولها فى عمرى :

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أودع جواهر المعانى الضيائية فى قوالب زواهر  
المبانى من الحروف الهجائية ، وأنزل القراءات بلسان عربى مبين  
بواسطة الروح الامين على رسوله خاتم النبين ، وهو افصح من  
نطق بالضاد من بين العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ( بعد )  
فهذه اجازة صريحة من الفقير الى رحمة ربه القدير حسن بن ابراهيم  
الشهير بالشاعر المقرئ والمدرس بالحرم الشريف النبوى الى ولده  
الشاب الرشيد الكامل محمد حميد الله بن ابى محمد خليل  
القاطن حيدر آباد دكن ، فانه قرأ على ختمة كاملة من أولها الى  
آخرها بالتحريير والتدقيق وقد استجازنى فأجزته بأن يقرأ بكلها رواية  
بشروطها المعتبره وهى تقوى الله تعالى فى السر والعلانية ، ولى منه  
الدعوات الصالحات فى الخلوات والجلوات كما أقرأنى واشترط على  
شيخى وأستاذى وحيد دهره وفريد عصره البصير بقلبه ، تغمده الله  
برحمته الشيخ حسين بن محمد بيوى وهو عن الشيخ محمد سابق وهو  
عن الشيل خليل المطوبسى وهو عن الشيخ على الأييارى وهو عن  
الشيخ على الحلو بمكة المكرمة وهو عن الشيخ أحمد ابو  
سلمونة وهو عن الشيخ سليمان البيسانى وهو عن الشيخ أحمد  
الميهى عن ابيه الشيخ على الميهى ( وح اينا ) وهو عن سيدى محمد  
بن محمد الجزرى عن سيدى عبدالرحمن القسطنطينى عن سيدى  
عبدالرحمن الازميرى عن سيدى سلطان المزاجحى عن سيدى أحمد  
المسيرى عن ابى جعفر الشهير باولياء افندى ( وح اينا ) فاما رواية  
حفص فحدثنا بها ابو الحسن طاهر بن غلبوت المقرئ قال حدثنا بها

ابو الحسن على بن محمد بن صالح الهاشمي المقرئ بالبصرة قال حدثنا بها ابو العباس أحمد بن سهل الاشناني على ابي محمد عبيد الصباح على حفص على عاصم وهو عاصم بن ابي النجودا ، وكنيته ابو بكر ، تابعى قرأ على ابي عبدالله بن حبيب السلمى وذر بن حبيب الاسدى على عثمان وعلى وابن مسعود و ابي بن كعب وزيد بن ثابت على النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العزة جل جلاله وعم نواله .

راجى عفوره القادر حسن بن ابراهيم الشاعر

### ختم

فى ١٢ ربيع الاول ١٣٦٦

وزد على هذا ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يحفظوا القرآن ويكرروا تلاوته مرات عديدة ، كل يوم فى صلواتهم وفى أوقات فراغهم آناء الليل واطراف النهار . ومع أنه لم يجب حفظ جميع القرآن على كل واحد من المسلمين ، ولكن نجد عددا لا بأس به من الصحابة حفظوا جميع القرآن فى حياة النبي عليه السلام ، ومن بينهم امرأة من الانصار أم ورقة ، من قدماء المؤمنات ، وكانت أرادت أن تشارك فى جيش المسلمين فى غزوة بدر وكان سماها النبي عليه السلام اماما لمسجد وكانت تؤم الرجال والنساء من أهلها ، ولها مؤذن

(١١)

الاعلان بين المسلمين والمسلمات عند كل وحى جديد ، وتدوينه كتابة ، وأمر التعلّم عند أستاذ مستند ، وحفظ القرآن وتكرار تلاوته طول العمر ، هذا ماكانت التدابير التى اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم فى مكة قبل الهجرة ، رغم أذى المشركين ، ولما هاجر الى



المدينة ، ووجد سهولة أكثر لتبليغ الدين ، اتخذ تدبيراً جديداً مهما .  
فقد روى البخارى (١٢) - عن فاطمة عليها السلام أسر الى النبي  
صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة وأنه عرضنى  
العام مرتين ، وما أراه الا حضر أجلي . وعن ابن عباس رضى الله  
عنهما ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ،  
وأجود ما يكون فى شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى  
شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
القرآن . . . وعن ابى هريرة قال : كان يعرض جبريل ( على النبي  
صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام  
الذى قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرة ، فاعتكف عشرين فى العام  
الذى قبض وقال ابن كثير (١٣) المراد من معارضته له بالقرآن كل سنة  
مقابلته على ما أوحاه اليه عن الله تعالى ليبقى مابقى ويذهب  
مانسخ ، توكيدا واستثباتا وحفظا ولهذا عرضه فى السنة الاخيرة من  
عمره عليه السلام على جبريل مرتين ، وعرضه به جبريل كذلك ،  
ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله . وعثمان رضى الله عنه جمع  
المصحف الامام على العرصة الاخيرة وكانت هذه العرصات معروفة .  
فكان لا بد من أن يجى الصحابة حينئذ بنسخهم من القرآن ويقارنون  
على تلاوة النبي عليه السلام ويصححون نسخهم ، وذكر العرصة  
الاخيرة كثير ، وكان يحضرها بين آخرين سيدنا زيد بن ثابت كاتب  
الوحي أيضا .

ويظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أراد فى أواخر عمره أن  
يستنسخ نسخة كاملة من القرآن كما نرى فى ما نقله السيوطى (١٤) : «  
قال الحارث المحاسبى فى كتاب فهم السنن : « كتابة القرآن ليست

بمحدثه فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والاكتاف والعصب . فانما أمر الصديق رضى الله عنه بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشرة فجمعها جامع وربط بخيط حتى لا يضيع منها شئى .

كان القرآن على هذه الحالة لما توفى النبى عليه السلام . ولما تولى أبو بكر الخلافة لم يشتغل به فى أول الامر ، ولكن حروب الردة اكرهته عليه فقد استشهد فيها كثير من القراء وحفاظ القرآن . وأول من تنبه بخطورة الحال هو سيدنا عمر فذهب الى الخليفة أبى بكر الصديق وقال : ان أصحاب الرسول يحبون الموت فى سبيل الله كما يحب آخرون الحياة ولن يزالوا فى المستقبل ، فلو أمرت بتبييضه فى صورة كتاب . فقد روى البخارى (١٥) ، : ان زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ( يقاتلون مسيلمة الكذاب ) ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : ان عمر أتانى فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى اخشى ان يستحر القتل بالقرآن بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا تهتمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى

الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر رضى الله عنهما . فتتبع القرآن أجمعه من الخشب ، واللخاف ، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصارى ، لم أجدها مع أحد غيره : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . . . حتى خاتمة برأة . فكانت الصحف عند ابى بكر حتى توفاه الله ، ثم عمر حياته ، ثم عند حفصة رضى الله عنهم . (١٦)

روى السيوطى (٧) عن الحارث المحاسبى : « أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشرة ، فجمعها بجامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شئ » . كان النبى عليه السلام أراد فى أواخر عمره تدوين نسخة كاملة للقرآن ، اما من تلقاء نفسه أو على طلب زوجته العالمة الفاضلة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - ويظهر ان تلك النسخة لم تكن كاملة والا لم يشتغل أبو بكر الصديق بجمع القرآن ، ثم نادى أبو بكر فى المدينة المنورة : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن قليات به « (السيوطى) . » وأخرج ابن أبى داود ايضا . . . أن أبا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه . . . وقال السخاوى فى جمال القراء : المراد انهما يشهدان على أن ذلك كمكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وقال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب الا من عين ماكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ ، قلت أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى صلى الله عليه وسلم عام وفاته « (السيوطى كذلك) .

وفى رواية الطبرى عن زيد بن ثابت قال : لما كملت كتابة القرآن فى المصحف قرأته ، فوجدته تفقد فيه آية ٢٣ من سورة الأحزاب ( ٢٣ - ٣٣ ) ، « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر و ما بدلوا تبديلا ، ، فبحث عندها عند المهاجرين بيتا بيتا فلم أجدها عندهم ، ثم بحث كذلك عند الانصار ، فلم أجدها الا عند خزيمه بن ثابت الانصارى ، فكتبتها ثم قرأت النسخة مرة أخرى فوجدت تفقد فيها آيتان من آخر سورة التوبة ( ٩ - ١٢٨ - ١٢٩ ) . « لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . الى : رب العرش العظيم ، فبحثت عند المهاجرين فلم أجدهما عندهم ، ثم بحثت عند الانصارى ، فلم أجد عندهم الا عند خزيمه آخر ، فأدخلتهما ثم قرأت ثالثا من أوله الى آخره ، فلما اطمأن خاطرى أنه جامع مانع لا ينقص شئى ، قدمت نسخة الصحف الى أبى بكر فأثنى على ، فكانت عنده .

لا أبحث كثيرا عن ادخال الآيات على شهادة واحدة ، فالطبرى يصرح عن زيد بن ثابت « خزيمه و خزيمه آخر » ، بينما البخارى ( ٦٦ - ٢ ) يقول لآيتى التوبة أبى خزيمه وآية الاحزاب الخزيمه بن ثابت . وذكر عن خزيمه بن ثابت أنه ذو الشهادتين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته كشهادتين ( وله قصة ) ولم يذكر سبب قبول شهادة أبى خزيمه رضى الله عنه . لعلمهم وجدوا شهادة واحدة مكتوبة و شهادة أو شهادات أخرى من صدور الحفاظ الذين كانوا أميين ولكن حفظوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسا .

ذكر الرواة أيضا ردّ الشهادة الواحدة ( فى هذا الصدد ) ، فسينا

عمر رضى الله عنه قال : الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله . . . آية ، وأن النبي عليه السلام كان قال : « هو من كتاب الله » - لم تكن هناك شهادة أخرى فردوه . كأنه سهو من سيدنا عمر ، فالمراد بكتاب الله يجوز أن يكون التوراة ( وهذا الحكم موجود فى التوراة المتداولة الآن أيضا ) وان الكتاب معناه أمر الله ( كما فى الآية : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ) وذكر أن فى قرآن سيدنا ابن مسعود التشهد أيضا ، ولم يكن فيه سورة الفلق وسورة الناس . وهو أيضا الاستنباط ، لا النص من صاحب الشريعة . فروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي عليه السلام كان يعلم التشهد كما كان يعلم السور من القرآن ، أو ظن أن كل ما يقرأ فى الصلاة فهو قرآن - أما ما يتعلق بالمعوذتين ، فمروى أن النبي عليه السلام كان عادة يستعملهما كالرقية ، يقرأهما وينفث فى كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه ، فكان سيدنا ابن مسعود لا يكتبهما فى قرآنه ( راجع تفسير ابن كثير بين آخرين ) وهو أيضا من سؤ التفاهم ولم بين على صراحة من النبي عليه السلام ، بينما روى آخرون من الصحابة أنهما من القرآن قرأهما رسول الله فى الصلوات .

فكان الأمر على هذا حتى سنة خمسة وعشرين أو ستة وعشرين للهجرة من خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه . ( فدخلت فى تلك السنة جنود المسلمين فى الاندلس من جهة وفيما وراء النهر من حدود الصين من جهة أخرى ، كما ذكر الطبرى و البلاذرى بين آخرين ) . فروى البخارى (١٩) « أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة . وقال القسطلانى (٢٠) فى

شرح هذا الحديث أن هذا وقع قرب أرزن الروم ( أرضروم الحالية في تركيا ) . فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها الى عثمان . فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن زبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة . فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ( وفي نسخة من صحيح البخارى : « يحرق » ) .

لانعرف كثيرا عن تطبيق أمر الحرق أو الخرق في الفسخ ماليس في النسخة الرسمية . لعله يتعلق بنسخة أو نسختين عند المناققين المعروفين الذين لفقوا أشياء في نسخهم فأخذتها الشرطة وأتلفتها والا فقدبقى الى القرن الرابع للهجرة مواد دون على أساسها ابن أبي داؤد وآخرون كتبوا ضخمة في اختلاف القرآن . وهذه الاختلافات تتعلق أما بالتلفظ حسب لهجات القبائل . أو بالتفسير الذى كتبه بعض الصحابة على نسختهم وفي عصر أولادهم وأحفادهم ، وهم الناس ، فجعلوه آية من القرآن . وهناك اختلاف وتناقض أيضا في الروايات فبعضها تقول في قرآن كذا كان هكذا . وفي رواية عن آخر بعكس ذلك تماما . فاذا تعارضا تساقطا ، وبقي المتواتر بدون شبهة .

## نسخ عثمان رضى الله عنه

فكتبوا أربع أو سبع نسخ لسيدنا عثمان رضى الله عنه ، أبقى عنده واحدة وأرسل أخرى الى مختلف مراكز الدولة الاسلامية ، ثم حدثت حوادث فى القرون المتأخرة من حريق أو سيل أو غير ذلك ، ونسب الى سيدنا عثمان ثلاث نسخ فى عصرنا هذا . واحدة منها كاملة وهى فى استانبول ( فى متحف توب قابى سراى ) وجاءوا بها زمن الحرب العالمية الاولى عندما خرجت الانكليز وشريف حسين . ونسخة أخرى فى تاشقند ، وكان فى دمشق . فلما احتلها تيمور لنك أخذها فى الغنيمة وجاء بها الى سمرقند عاصمته . ثم بعد قرون لما احتل الروس سمرقند نقلوه الى عاصمتهم بطرسبورغ ( لينن كراد حاليا ) فكان بها الى سنة ١٩١٩ م ولما قتل الشيوعيون ملكهم واحتلوا العاصمة ، كان فى جيش الروس جنرال مسلم اسمه على أكبر توبجى باشى ، أرسل كتيبة الى قصر الملك فأخذ النسخة وأرسلها فى الفور فى قاطر السكة الحديدية بكل سرعة الى تاشقند ، كما ذكرلى هو فى باريس رحمه الله ، وكان من اللاجئين ، فلما عرف سلطات الشيوعيين بعد عدة ساعات أرسلوا قاطرا آخر فى عقب الأول ولكن لم يتمكنوا . وبعد برهة لما تمكن الشيوعيون من احتلال تركستان عن جديد ، خلّوا النسخة فى تاشقند وقالوا أى فرق اذا كان المال فى هذا الجيب أو ذاك الجيب ، مادام كلاهما لى ؟ ان حكومة قياصرة الروس كانت قد طبعت نسخة مصورة من هذه النسخة ، فى خمسين نسخة فحسب ، فالأصل موجود وليس بكامل ، ولم يبق الا ثلثان والباقى نفسد فى ممر الدهور ، والاستاذ طه الولى الذى رآه منذ قريب يقول : ضاع الآن اكثره ، ولم يبق الا عدة أوراق .

والنسخة الثالثة فى مكتبة انديا أوفيس لائبريرى فى لوندرا ، جاء بها الانكليز فى سنة ١٨٥٨ م عندما هزموا جيوش سلاطين مغول واحتلوا مكانهم . وهذه النسخة أيضا غير كاملة ، ولم يبق الا النصف تقريبا ، ولكن من حسن الحظ بقى آخره حيث كتب الكاتب : « كتبه عثمان بن عفان » . ( رضى الله عنه ) .

لا أجد وقتا اليوم للبحث فى صحة الانتساب الى هذه النسخ

الثلث .

### تبويب القرآن

قسم النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى ١١٤ سورة ، وفى كل سورة بين ثلاث الى ٢٨٦ آية ، ثم قسموا القرآن بعد ذلك فى سبعة أجزاء سموها منازل ، لأن النبى عليه السلام أوصى أن يتلو الناس القرآن بتدبر ولا يتلوه فى أقل من أسبوع . فقد ذكر ابن كثير أن النبى عليه السلام قال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم : فاقراه فى سبع ولا تزد على ذلك . وذكر أيضا أن ابن مسعود وتميما الدارى رضى الله عنهما كانا يقرآن جميع القرآن من جمعة الى جمعة . فكان لا بد من تقسيمه الى سبعة منازل .

ان معنى هذه المصطلحات من آية وسورة ومنزل معنى عميق ، لطيف ، الآية من مادة أوى يأوى أى يذهب الى الفراش لينام . والسورة من السور وهو الجدار ، فكأن السورة معناها الحجرة أى الغرفة بينما المنزل هو حيث ينزل المسافر بعد سفر اليوم ويستريح ثم يداوم السفر بالغد . ففيه معنى عميق لطيف :

المسافر فى الدنيا فى سفر طويل يحتاج الى أن ينزل كل يوم فى

منزله ، ويستريح فى حجرة وينام فى فراش .



والمسافر الى الله أيضا يحتاج الى منزل ، وغرفة وفراش ، أى الى منزل وسورة وآية ، وسفره لا الى نهاية . ويرمز رقم السبعة الى مالانهاية له ، ولذلك عدد المنازل فى القرآن سبعة والله أعلم . يقول الله فى القرآن : « وهو معكم أينما كنتم ويقول ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ، ولكن لانراه ومحصناه هو تعالى موجود واجب الوجود ، ونحن عميان . ومع ذلك نحب أن نذهب ونشوق الى خالقنا ومحبوبنا . اذا كان أحد لا يرى ، ولا يعرف الطريق ، والطريق مملؤ بالعوائق ، فكيف يعمل ؟ الامكان الوحيد هو أن يدل المحبوب بالكلام كيف يتقدم وأين يرجع يمينا ويسارا الى غير ذلك . وهذه هى وظيفة كلام الله الذى هو هدى للمتقين .

### صيانة النص القرآنى

أصل الاناجيل باليونانية ، والباقى كله مترجم منها الى سائر اللغات . ولذلك مرببال علماء النصرارى الألمان فى أواخر القرن الماضى أن يجمعوا جميع مخطوطات الأناجيل فيقارنوا بعضها مع بعض فجمعوا النسخ الكاملة والناقصة وحتى قطعات ، من جميع العالم ثم قارنوا كلمة كلمة . ونشروا نتائج المقارنة ، فقالوا :

Le materiel scripturaire se compose d' onciaus, de minuscule, de lectionnaires liturgiques, de papyrus, d' ostraca (textes brefs écrits sur tessons de poteries), de talismans, et enfin des différentes versions et des citations d' auteurs anciens, qui sont elles-mêmes à vérifier. Cette masse énorme dépasse ce dont on dispose pour n'importe quel texte antique; elle a fourni quelque 200,000 variantes. La plupart sont des variantes insignifiantes : variations d' orthographe ou *lapsus calami*. Déjà Westcott et Hort, en

donnant de chiffre, constataient que les sept huitiemes du texte étaient assures et que les variantes importantes ne portaient que sur une part infime.

(Robert et Feuillet, *Introduction à la Bible*, Paris, 2e ed. 1959, Vol. I, p. III).

انهم وجدوا فيها .. تقريبا مائتى الف اختلاف الروايات ، وزادوا أن الثمن منها مهم .

ولعله كان هذا هو الداعى لتأسيس معهد للبحث فى القرآن فى جامعة مونيخ فى المانيا ، وحاولوا أن يجمعوا فوتوغرافات مخطوطات القرآن من جميع العالم . وفى السنة ١٩٣٣ م كان الأستاذ بريتل الرئيس الثالث لهذا المعهد وجاء الى باريس ليصور المخطوطات التى توجد فى فرنسا ( وفى المكتبة الأهلية فى باريس نسخة يظن المستشرقون الفرنسيون أنها من القرن الثانى للهجرة . وكنت حينذاك فى السوربون . فقال لى الأستاذ بريتل أنه يوجد عندهم فى ذلك الوقت اثنان وأربعون ألف من نسخ القرآن ، سواء كاملة أو قطعات وأنهم مشغولون بمقارنة هذه النسخ حرفا حرفا . وقبيل الحرب العالمية الثانية نشروا تقريرا موقتا ، فقالوا انهم الى ذلك الوقت لم يجدوا اختلافات الرواية الا ما هو من سهو الكاتب ، وفى أثناء الحرب وقعت قبلة أمريكية على هذا المعهد فلم يبق منه ولا ابرة واحدة . ولو جمع أحد مرة ثانية هذه المواد ، لأن الأصول محفوظة كلها ، فيصلون باذن الله الى نفس النتيجة فلا يوجد فرق بين المخطوطات ، وكذلك لا يوجد فرق بين حفاظ القرآن ، وهم يعدون بمئات الآلاف بين مشارق الأرض ومغاربها . الا ما هو معروف منذ قديم الزمان من الاختلاف بين القراء فى تلفظ بعض الكلمات التى

لا يغير المعنى ، وهو من رخصة النبي عليه السلام لحاجات لهجات القبائل العربية .

### تراجم القرآن

اللغات تتغير بمرور الزمن ، وبعد عدة قرون تصير اللغة غير مفهومة للأجيال المتأخرة ، سواء باليونانية أو اللاتينية أو الفرنسية أو الروسية أو الانجليزية أو غيرها ، والاستثناء الوحيد هو اللغة العربية التي لم تتغير منذ ألف وخمسة مائة سنة على الأقل سواء في الصرف والنحو أو الاملاء أو التلفظ أو معانى الكلمات . لعل هذا الثبات وعدم التغير كان لازما لرسالة الله الأخيرة التي جاء بها الى البشر من لا نبي بعده . فلو كان النبي عليه السلام حيا اليوم لفهم الاذاعات والجرائد باللغة العربية كما نفهم اليوم القرآن والحديث .

ولكن القرآن لم يجئ للعرب فحسب بل كافة للناس بشيرا ونذيرا . فلانصلي الا بالعربية ، ولكن لا مانع أن يقرأ العجمي القرآن والتفسير في الترجمة .

يظهر أن ترجمة القرآن بدأت في العصر النبوي فقد ذكر شمس الائمة السرخسى (٢١) : « روى أن الفرس كتبوا الى سلمان الفارسي رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية » . وفي رواية تاج الشريعة الحنفى زيادة فيقول : أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية « فكتب ( بسم الله الرحمن الرحيم - بنام يزدان بخشاونده الخ ) . وبعدما كتب عرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثه اليهم ، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم » ، (٢٢)

قال الجاحظ في البيان والتبيين (٢٣) ان موسى بن سيار الأسوارى

كان يفسر القرآن بالفارسية . ( وهذا من القرن الثاني للهجرة ) . وقال بزرك بن شهريار (٢٤) ان القرآن ترجم كاملا فى سنة ٣٤٥ هـ تقريبا الى إحدى لغات شمال الهند ( كأنها السندية أو الملتانية ) وفعلا توجد الى هذا اليوم تراجم القرآن بالفارسية والتركية الشرقية والتركية الغربية ، وهى من عمل علمائنا من العهد السامانى أى القرن الرابع للهجرة ، وقد نشروا منذ قريب فى ايران ترجمة القرآن وخلاصة تفسير الطبرى وكل ذلك بالفارسية ألفه جماعة من كبار العلماء بأمر الملك منصور بن نوح السامانى فى سنة ٣٤٥ .

#### القول بعدم جواز الترجمة

نرى مما مضى أن ترجمة القرآن الى لغات العجم قبلها العلماء المسلمون بدون أدنى نكير . أما القول بعدم جواز الترجمة فلم يحدث الا فى القرن الماضى فى تركيا العثمانية وفى مقاطعاتها العربية مثل سوريا و مصر . فلو تدبرنا وتعمقنا لوجدنا أن هذا معاصر لفتوح النصارى الأروبيين واستعمارهم بلاد الاسلام . فمعروف أنهم حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة . فلم يكتفوا بارسال المبشرين فى شتى الملابس ، بل منعوا أيضا تدريس اللغة العربية حتى فى المستعمرات العربية مثل شمالى افريقية . كانوا يخافون القرآن للنصرانية أكثر من سيوف المسلمين فأرادوا اتمام حصار قلعة الاسلام بمنع تراجم القرآن باللغة الاجنبية . فالمسلمون غير العرب لا يعرفون العربية ولن يجدوا تراجمه بلغات يعرفونها ، فتبقى الساحة فارغة للنصرانية . كأن أحد المبشرين قال لبعض علماء الاسلام الساذجين : « حقا القرآن معجزة ، لاتتحمل بلاغته الترجمة » . فوثب هذا العالم الساذج لشدة السرور وظن أن الفضل ماشهدت به

الأعداء ، وبدأ يتكلم حوله ويكتب أن القرآن تصعب أو تستحيل ترجمته ،  
وتبعه آخرون . وفي الخطوة الثانية قالوا : « القرآن لا تجوز ترجمته »  
. وكان هؤلاء المبشرين النصارى ظنوا أن ترجمة القرآن لا يقوم بها  
الا العرب ، بينما التاريخ يقول ان المسلمين العجم هم الذين تعلموا  
العربية وترجموا القرآن الى لغاتهم لتدريس اولادهم وعامة أهل  
بلادهم الذين لم يدرسوا العربية . وهكذا يتضح لنا لماذا انحصرت  
الحركة ضد ترجمة القرآن ببلاد العرب وبالدولة العثمانية مركز الخلافة ،  
ولم تصل الى الهند واندونيسيا وأفغانستان وايران مثلا .

توجد تراجم القرآن الآن فى جميع كبار لغات العالم ، وأيضا فى  
كثير من صغارها ، وبلغ العدد فى فهرستى المتواضع الى أكثر من مائة  
وأربعين ، وفى كثير منها أكثر من ترجمة واحدة . مثلا فى أردو أكثر  
من ثلاث مائة ، وفى الفارسية والتركية أكثر من مائة ، وبالانكليزية  
قريب من مائة ، وباللاتينية ثلاث وأربعون ، وبالفرنسية ست وأربعون ،  
الى غير ذلك . كنت سعدت بنشر كتاب اسمه « القرآن فى كل لسان »  
فيه تفصيل التراجم فى كل لغة مع أنموذج لسورة الفاتحة . الطبعة  
الثالثة منها كانت فى سنة ١٣٦٦ هـ ، وكانت عندى فى ذلك الوقت  
تراجم فى ٦٧ لغة . وتنتظر الطبعة الرابعة المنقحة المزيد فيها الى  
وسائل . لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

## المراجع

- (١) الفتوحات المكية . ج ٣ . ص ٦٧
- (٢) المسند للإمام أحمد . ج ٥ . ص ٢٦٥

- (٣) سورة النجم ، آيات ٣٧ - ٤٢
- (٤) ابن اسحاق : كتاب المبتدأ و المبعث والمغازى ، ص ١٢٨ ، فقرة ١٩٢
- (٥) الصحيح : ٦٦ - ٤ - ٢
- (٦) مجمع الزوائد ، ج ١ ص ١٥٢ ، و ج ٨ ص ٦٧٥
- (٧) سيرة ابن هشام ، طبعة اوربا ، ص ٢٦٦
- (٨) الروض الأنف ، ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨
- (٩) وفاء الوفاء ، طبع بيروت ، ص ٨٥٧
- (١٠) من حاشية ذيل تفسير القرآن لابن كثير ، ص ١٢
- (١١) مسند الامام أحمد بن حنبل ، ج ٦١ ص ٤٠٥ ، سنن ابي داود : كتاب الصلاة ، باب امامة النساء : ٢ : ١٦٢ - الاستيعاب لابن عبدالبر ، قسم النساء ، رقم ١٠٧ - الوفاء لابن الجوزى ص ٣٧ ، المطالب العالية لابن حجر رقم ٤١٥٩ عن ابن راهويه .
- (١٢) البخارى : كتاب ٦٦ باب ٧ احاديث ١ ، ٢ ، ٣
- (١٣) ذيل التفسير ، ص ٢٧
- (١٤) الاتقان فى علوم القرآن ، النوع الثامن عشر ، فى جمع القرآن و تدوينه
- (١٥) البخارى ، كتاب ٦٦ ، باب ٣ ، جمع القرآن ، حديث رقم ١
- (١٦) راجع لتفاصيل أخرى : تفسير الطبرى ، و ذيل تفسير ابن كثير ، واختلاف القرآن لابن ابي داود بين آخرين .
- (١٧) الاتقان فى علوم القرآن ، النوع الثامن عشر ، فى جمع القرآن و تدوينه
- (١٨) تفسير الطبرى ، ج ١ ص ٢
- (١٩) البخارى : ٢٢ - ٣ - ٢
- (٢٠) شرح القسطلانى على صحيح البخارى ، المجلد الرابع ، ص ٤٨
- (٢١) الميسوط للسرخسى ، ج ١ ص ٣٧
- (٢٢) النهاية حاشية الهداية ، لتاج الشريعة ، طبع دهلى ، ١٩١٥ م ، ج ١ ص ٨٦ ، حاشية رقم ١
- (٢٣) البيان و التبيين ، ج ١ ص ١٢٩
- (٢٤) عجائب الهند والصين ، ص ٢ - ٣

